

حديث : كل سلامى من الناس عليه صدقة

11:07:27 2006-07-20 | الشبكة الإسلامية



متن الحديث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة) رواه البخاري ومسلم .

الشرح

سبق وأن بينا في مقال سابق أن للصدقة مفهوما واسعا لا يقتصر على بذل المال وإنفاقه في أوجه البر والخير ، وأنه يشمل كثيرا من الطاعات والعبادات التي تبرهن على صدق صاحبها في عبوديته لربه تبارك وتعالى (والصدقة برهان) ، كما وضحنا أن من الصدقة ما يكون نفعها قاصرا على العبد ، ومنها ما يكون نفعها متعدا إلى الذين من حوله ، وفي الحديث الذي بين يدينا أتى التركيز على تلك الأعمال التي يعم خيرها على الجميع ، فيتحقق بها الائتلاف بين لبنات الأمة ، وتجتمع القلوب على كلمة سواء ، ومحبة دائمة .

وهنا يبتدئ النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بتذكير المؤمنين بنعمة عظيمة من نعم الله عزوجل على الناس فيقول : (كل سلامى من الناس عليه صدقة) ، إنه تذكير بعظمة الله وقدرته على خلق الإنسان والإبداع في تركيبه وتنظيم عمل أعضائه ، على نحو تعجز عنه طاقات البشر وإمكاناتهم ، وقد جاء التذكير الرباني بهذه النعمة في عدة مواضع من كتاب الله ،

يقول الله عزوجل : **{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }** (النحل : 78) ، ويقول أيضا : **{ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك }** (الانفطار : 6 - 8) . وهذه النعمة العظيمة تتطلب من الإنسان شكرا لها ، وهذا الشكر سبب لمباركة هذه النعم ودوامها .

وقد يظن البعض أن شكر النعم يكون باللسان فقط ، والحقيقة أن هذا لا يكفي ، نعم : الشكر باللسان أمر مطلوب شرعا ، ولكن ينبغي أن يضم إليه الشكر بالعمل ، فيحقق بذلك أعلى درجات الشكر للخالق ، وحين نستعرض الصور التي وردت في الحديث الذي نتناوله ، نجد أكثرها يدخل في باب الشكر بالعمل .

فالدليل بين المتخصصين شكر على نعمة اللسان الذي نطق بالحق ، وشكر على نعمة العقل الذي أعان العبد على اختيار الحق والقضاء به ، وشكر على نعمة الهداية والتوفيق التي أعانت على الإصلاح بين المتخصصين ، ولو مضينا في ذكر هذه النعم فلن نحصيها عدا ، وحسبنا أن نعلم أن هذا العمل الخير هو من أفضل القربات إلى الله عزوجل ، كما أنه سبب تلتئم به المشاحنات التي تحصل بين الناس ، فهو إذا صدقة على المجتمع المسلم .

والصورة التالية التي ذكرت في الحديث : **(وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه صدقة)** إنه مثال حي على قضية التعاون على البر والتقوى ، ووجه من وجوه التكافل الإنساني ، لاسيما وأن الفرد بطبيعته لا يستطيع أن ينفرد بقضاء شؤونه كلها ، بل لابد له من الاستعانة بغيره ، وهذه سنة الله في خلقه أن جعل الناس يتخذون بعضهم بعضا سخريا ، فإذا قام كل فرد بإعانة أخيه وتوفير حاجته ، انتشرت المحبة بين المؤمنين .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : **(والكلمة الطيبة صدقة)** : فهو حديث عن صدقة من أعظم الصدقات ، إنها الكلمة الطيبة ، فكم كان للكلمة الطيبة من أثر واضح على كثير من الناس ، ولكم تناهى إلى أسماعنا من قصص في القديم والحديث تدل على أثر الكلمة الطيبة ، يروي أحد السلف قصته فيقول : " كنت غلاما حسن الصوت ، جيد الضرب بالطنبور ، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبذ وأنا أغنيهم ، فمر **عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه ، فدخل فضرب البساط وكسر الطنبور ، ثم قال : لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت!! . ثم مضى ، فقلت لأصحابي : من هذا ؟ ، قالوا : هذا **عبدالله بن مسعود** ، فألقى الله في نفسي التوبة ، فسعيت أبكي وأخذتُ بثوبه ، فأقبل علي فاعتقني وبكى ، وقال لي : مرحبا بمن أحبه الله " ، فلك أن تتخيل أن كل عمل عمله هذا الرجل إنما هو في ميزان حسنات **عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه ، والسبب في ذلك : كلمة طيبة وافقت ساعة هداية .

وللكلمة الطيبة وجوه متعددة وصور متنوعة ، فهي الذكر لله عزوجل ، وهي الشفاعة الحسنة التي تقضي للناس حوائجهم ، وهي التسلية للمصاب لتخفف عنه بلائه ، وهي الموعظة الصادقة التي ترشد العباد إلى ربهم ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي كل ما يسر بها السامع ، وما يجمع القلوب ويؤلفها .

ثم يأتي الحث على حضور الصلوات في المساجد ، لإدراك الخير ، وتحصيل الأجر ، وقد ورد في فضل ذلك الكثير من الأحاديث ، فعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)** ، وقال أيضا : **(من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح)** متفق عليه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : **(وتميط الأذى عن الطريق صدقة)** ففيه إشارة إلى أن جميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن العبد تحقق معنى الشكر ، مهما كان هذا العمل صغيرا في نظر صاحبه ، دقيقا في مقياس الخلق ، وفي هذا دلالة على عظم هذا الدين وشموليته .

وختاما : فإن أعمال العباد كلها لا تساوي قدر أقل نعمة من نعم الله المتكاثرة ، فلئن كان شكرها لا يوفي قدرها ، فلا أقل من رعاية الحواس حق الرعاية ، وصيانتها من استعمالها في غير مرضاة خالقها ومولاها ، لعل ذلك يكون أقل ما يجب . نسأل الله التوفيق والسداد .